



المعهد المصري للدراسات
EGYPTIAN INSTITUTE FOR STUDIES

الجهاد ضد الاستبداد.. في ذكرى الشيخ الغزالي

محمد إلهامي

باحث
متخصص في التاريخ والحضارة

مقالات المعهد

١٣ مارس ٢٠١٧



TURKEY- ISTANBUL

Bahçelievler, Yenibosna Mh 29 Ekim Cad. No: 7 A2 Blok 3. Plaza D: 64
Tel/Fax: +90 212 227 2262 E-Mail: info@eis-eg.org



WWW.EIPSS-EG.ORG

[f Eipss.EG](https://www.facebook.com/Eipss.EG) [t Eipss_EG](https://twitter.com/Eipss_EG)



الجهاد ضد الاستبداد .. في ذكرى الشيخ الغزالي

محمد إلهامي

في التاسع من مارس 1996، فاضت روح الشيخ الداعية الأديب الملتهب الرقيق المتدفق محمد الغزالي، بعد عمر مديد في الدفاع عن الإسلام ورفع لوائه. والشيخ عَلمٌ كبير أشهر من أن يُعرَف، ومجموع مؤلفاته غزير حافل بالمعاني، وقد رأيت أن خير ما نحیی به ذكرى الشيخ التقاط بعض كلامه في شأن الاستبداد والجهاد، وكان الاختيار عسيراً وصعباً بحسب ما يسمح به القيام، وهو ما يضيق عن فيض الشيخ رحمه الله!

(1) آثار الاستبداد

"النفس الإنسانية تذوى وتنمو، وتنكمش وتمتد، على حسب التربة التي تحيا فيها!! ولو أتاحت لشعوب الشرق الفرص التي أتاحت لشعوب الغرب لبُذلت الأرض غير الأرض. ألست ترى أرجل البشر تكبر على طبيعتها هنا وهناك؟! حتى إذا ذهبت إلى الصين - حيث يلبس البعض أحذية من حديد - وجدت أقداما ضامرة شل الحديد نماءها منذ الطفولة!! إن لدينا أنظمة، هي وأحذية الحديد الصينية سواء.. أنظمة تركت وراءها حطاما من الأجيال الهامدة، التي عاشت عمرها في صراع مع الضرورات المذلة ومثل هذا الصراع يموت فيه المنهزم موثاً مادياً، محروماً من العافية والاستقرار، ويموت فيه المنتصر موثاً أدبياً. فأنى الترقى والازدهار لمن يقنع في حياته بنيل ضروراته؟! أنظمة تجعل الحياة في المجتمع دون الحياة في الغابة!. فإن الطيور تغادر أعشاشها، سعياً وراء رزقها، فتغدو خماصاً، وتروح بطاناً، فنتيجة سعيها تكون مكفولة. فكيف الحال في مجتمعات يرهق العامل فيها نصباً، ويقضى حرماناً؟ أجل.. قد تكون آجال الحيوانات في الآجام رهنا بجوع السباع وشبعها، أفتحسب الحياة في بعض ربوع الشرق أفضل من ذلك؟! لا تزال هناك أمم تعطى حق الحياة لكبارها أولاً... ثم لصغارها ما عنت وجوههم لهؤلاء الكبار. وما استغنى الكبار عن افتراس هؤلاء الصغار، وإلا فالحكم للسيف والنار، ولمن يملك النار والسيف"¹.

"لا أزأل أكرر ما ذكرت في بعض كتبي من أن الحريات المقررة هي الجو الوحيد لميلاد الدين ونمائه وازدهاره! وإن أنبياء الله لم يضاروا بها أو يهانوا إلا في غيبة هذه الحريات، وإذا كان الكفر قديماً لم ينشأ ويستقر إلا في مهاد الدل والاستبداد فهو إلى يوم الناس هذا لا يبقى إلا حيث تموت الكلمة الحرة وتلطم الوجوه الشريفة وتتحكم

(¹) الغزالي، الإسلام والأوضاع الاقتصادية، ط3 (القاهرة: دار نهضة مصر، أكتوبر 2005)، ص140، 141.



عصابات من الأغبياء أو من أصحاب المآرب والأهواء.. نعم ما يستقر الإلحاد إلا حيث تتحول البلاد إلى سجون كبيرة، والحكام إلى سجانين دهاة².

"العلمانيون أجهل الناس بالإسلام وتاريخه وتراثه وأصوله وفروعه، ولو أنهم شغلوا بعض وقتهم بالتعرف على الإسلام وكتابه وسنته وشروح القدامى والمحدثين من أئمتة لكان لهم موقف آخر، بدل تحاملهم الأعمى عليه... وهم مع الاستبداد السياسى حتى يتم قهر الإيمان أو هدم الإسلام بالعبرة الصريحة! وماذا بعد هدم الإسلام؟ استمکان الإلحاد من أمتنا وانفراده بزمامها وانطلاق الغرائز الدنيا تعربد كيف تشاء"³.

"إن عددا من الدعاة الإسلاميين فقد الإحساس بقيمة الحرية السياسية والفكرية، وضرورة توفير العناصر التي تغذيها وتنميها، وفقد الوعي بأن حقائق الإيمان فى غياب الحرية تضؤل وتنكمش حتى تختفى من الحياة، وربما تحولت بعد إلى كفر وإلحاد. إن الإيمان بالله فى ظل الاستبداد السياسى كثيرا ما يتحول عن معناه ومجراه ليكون لونا من الشرك القبيح"⁴.

(2) ضرورة الجهاد

"ما من أيام القتال فيها أوجب على المسلمين من أيام يُهدد فيها الإسلام وآله بالفناء، وتتألب عليه شتى القوى، بل يصطاح ضده الخصوم والأعداء، محاولين سحقه إلى الأبد. وقد وقع ذلك فى صدر الإسلام قبل الهجرة وبعدها، ووقع فى هذه الأيام، فسقطت أوطان الإسلام فى أيدي لصوص الأرض، ثم رسمت أخبث السياسات للذهاب به رويدا رويدا. فكيف تستغرب الدعوة إلى التسلح، والإهابة بأهل النجدة أن يوطنوا أنفسهم على التضحية فى سبيل الله؟! كيف تستنكر صناعة الموت فى أمة يتواشب حولها الجرارون من كل فج؟!"⁵.

"الواجب المقدس لشعوب الأمة الإسلامية المناضلة، يقضى بالجهاد من أجل تقويم كل نظام لا تتفق أسسه مع تعاليم الإسلام. ولذلك أصبح لزاما على شعوب الأمة الإسلامية المجاهدة، وقد أهدق الشربها أن تعمل متعاونة ومتساندة من أجل إقامة المجتمع الإسلامى المنشود. وليكن شعارنا: لحكم الله نخضع وبحكم الله

² الغزالي، قذائف الحق، ط1 (دمشق: دار القلم، 1991)، ص235.

³ الغزالي، الحق المر، (القاهرة: دار الشروق، 1988)، ص39.

⁴ الغزالي، الحق المر (الجزء السادس)، (القاهرة: دار نهضة مصر، 2005)، ص7.

⁵ الغزالي، فقه السيرة، خرج أحاديثه: ناصر الدين الألباني، ط1 (دمشق: دار القلم، 2006)، ص218.



نسود، وأنه قد آن الأوان لاتخاذ القرآن دستوراً تطبق مبادئه على الحاكم والمحكوم. (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)⁶.

"ما دام الظلم لا يردع إلا بالسيف فليحمل المسلمون السيف! وما دام الإنصاف لا يتحقق إلا بالقتل فليخض المسلمون المعارك! حتى يرتفع لواء العدالة..! إننا حراس على السلام وفي ظله نبليح رسالتنا وافريين فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. لكن ما العمل إذا كمت أفواهنا؟ بل إذا أوجع المسلم خسفا حتى يترك دينه؟ ما بد إذن من قتال! والمثير أن فوارق العدد لا وزن لها في هذا القتال! فالقلة تتصدى للكثرة. والواحد يثبت أمام العشرة. والسبب أن الله ظهير للمؤمن إذا قاتل، فهو عندما يضرب تضرب معه قوى الأرض والسماء"⁷.

(3) لا بد من القوة

"إننا هنا، في مكاننا هذا من العالم قوة ذات خطر، أنشأنا الله في هذا المكان المتوسط بين القارات لتنبعث من بلادنا رسالات السلام والأمن والحرية للعالم كله، للإنسانية جمعاء. لقد آن الأوان ليؤمن الاستعمار بهذه الحقيقة، وما نراه يؤمن بها إلا إذا أشعرناه بقوتنا. إن القوة وحدها هي التي تقنع بالحق.. الحق وحده لا يمكن أن ينتصر بغير قوة تسنده. وإن هذه الحرب التي يحاول الاستعمار الصليبي أن يشنها على بلادنا، هي حلقة جديدة من سلسلة قديمة متصلة الحلقات"⁸.

(4) معاني ملتبسة:

يقول الغزالي: "في الدين وفي الحياة أمور متشابهة، ومعادن متقاربة، لا معنى للخلط بينها، عند إصدار الحكم عليها. فالأمر بالصبر، ليس أمراً بالذل، والأمر بالتواضع، ليس أمراً بالضعف. والحد الفاصل بين الحالتين دقيق، ولكنه قائم ثابت!. والنهي عن الكبر، ليس نهياً عن عزة النفس، والنهي عن الترف، ليس نهياً عن الاستغناء، والاستكفاء، فهذا وضع، وذاك وضع آخر! وقد جاءت في الإسلام آثار شتى تفرض على الإنسان تحمل الشظف

⁶ الغزالي، الإسلام والطاقت المعطلة، (القاهرة: دار نهضة مصر، 2005)، ص 174.

⁷ الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ط4 (القاهرة: دار الشروق، 2000م)، ص 138.

⁸ الغزالي، الاستعمار أحقاد وأطماع، ط4 (القاهرة: دار نهضة مصر، يناير 2005)، ص 99.



وتحرم عليه أن يظهر جزءا، أو يبدي ريبة. فكيف قيل هذا، ولأى وجه سيق؟! الواقع أن هذا قيل ليرضى المسلمين بمتاعب الجهاد، لا ليرضيهم بمصاعب الفقر وآلام العيلة، من غير سبب معقول⁹.

(5) مطالب الجهاد:

يقول الغزالي: "إذا كان الجسم المصاب بفقر الدم يسقط في أول مراحل الطريق، فالعقل المصاب بفقر المعرفة أعجز من أن يلاحق مطالب الجهاد، أو يلبي حاجات الحق... العالم الإسلامي اليوم منهوب منكوب، برّحت به علل الداخل وفتن الخارج، وهو فقير إلى دعاة من طراز جديد ذوي علاقة ذكية قوية بكتابهم ونبيهم، وبالعالم الذي نعيش فيه وما يمور به من قضايا"¹⁰.

ويقول أيضاً: "إذا قرر المؤمن الجهاد في سبيل الله، والاشتباك مع قوى الباطل في حرب موصولة الكر والفر فيجب أن يحدد صلته بما في الدنيا من متع وما تهواه النفس من لذات.. ذلك أن التمشي مع مغريات الحياة يفتح الشهية للمزيد، ويعلق القلب بمطامع تشغله عما يجب أن يخلص له... وأساس هذا السلوك توطين النفس على أسلوب من العيش خفيف المؤنة قليل التكلفة والإنسان في هذا المجال يمكن أن يمتد ويمكن أن ينكمش.

والنفس طامعة إذا أطمعتها... وإذا ترد إلى قليل تقنع، ونحن لا نحرم حلالا، ولا نحجر واسعاً، وإنما نصف الطريق التي لا بد من سلوكها لأصحاب الرسالات وحملة الدعوات. فإنه لا يتفق طمع في الدنيا وانتصار للمثل العليا. ولا ينسجمان الحرص على إعلاء كلمة الله، والحرص على تكثير المغانم واسترضاء الخلائق"¹¹. رحم الله العالم الجليل، وتقبل منه صالح علمه وعمله"⁽¹²⁾.

⁹ الغزالي، الإسلام المقترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين، ط6 (القاهرة: دار نهضة مصر، أغسطس 2000)، ص59، 60.

¹⁰ الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، (القاهرة: دار الشروق، 1997)، 107.

¹¹ الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام: بحث في الخلق والسلوك والتصوف، ط3 (القاهرة: دار نهضة مصر، يوليو 2005)، ص146، 147.

⁽¹²⁾ الآراء الواردة تعبر عن آراء كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن "المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية".